

بسم الله الرحمن الرحيم

الإعجاز العلمي - الندوة : 22 - الحمام الزاجل.

16-11-2003

مقدمة :

المذيع :

اللهم صلّ وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين ، لقد اعترف بلغاء العرب بروعة النظم القرآني ، وتميزه عن كلام البشر ، فهذا الوليد بن المغيرة يقول في القرآن الكريم رغم كفره : " إن له لحلاوة ، وإن عليه لطلاوة ، وإن أسفله لمغدق ، وإن أعلاه لمثمر ، وإنه ليعلو ، ولا يعلى عليه " وقد دفع ذلك بنفر من المسلمين إلى تصور الإعجاز القرآني أساساً في جوانب بيانه ونظمه ، وأفاض الأقدمون والمحدثون في ذلك ، فأفصحوا عن جوانب من الإعجاز البياني في القرآن الكريم ملأت العديد من المجلدات ، دون أن يتمكنوا من إيفاء ذلك الجانب حقه كاملاً، نتابع مع : "عجاز العلمي في الكتاب والسنة" ومع كتاب لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي الأستاذ المحاضر في كلية التربية بجامعة دمشق ، والخطيب والمدرس الديني في مساجد دمشق، أهلاً وسهلاً بك .

الدكتور راتب :

أهلاً وسهلاً بكم يا سيدي .

المذيع :

حينما تتفكر ، وتتأمل في خلقه ، وأنت جالس على الشرفة قد يتراءى إليك حمام يطير في السماء ، فهل من الممكن أن تتأمل بأن الام الزاجل هذا كان يستخدم كبريد جوي ؟ هذا هو السؤال المحير ، والذي نراه عنواناً كبيراً في كتابكم ، فحدّثونا أفادكم الله .

الحمام الزاجل :

الدكتور راتب :

إن شاء الله ، لفت نظري مرة أن مقالة كتب عليها : " الحمام الزاجل أول وكالة أنباء في التاريخ " ، وقد نربط هذا الموضوع العلمي بتاريخنا القريب ، فالأمير نور الدين الشهيد استخدم البريد الجوي حينما كان أميراً على بلاد الشام ومصر معاً ، فكان يرسل بريداً من الشام إلى مصر ، وتأتيه الأجوبة في زمن

قصير جداً عن طريق الحمام الزاجل ، ماذا قال العلماء عن الحمام الزاجل ؟ قالوا : الحمام الزاجل - وله اسم آخر - حمام الرسائل ، له ما يزيد على خمسمئة نوع ، وهذا شيء لا يصدق ، هو يمتاز بحدة الذكاء والقدرة الفائقة على الطيران ، ويمتاز بغريزة قوية يهتدي بها إلى هدفه وموطنه ، هو مخلوق مستأنس ألفت ، قال تعالى :

### ﴿ وَذَلَّلْنَاهَا لَهُمْ ﴾

[ سورة يس : 72 ]

كلمة ،

### ﴿ وَذَلَّلْنَاهَا لَهُمْ ﴾

فيها معانٍ كثيرة جداً ، هذا الحيوان الذي يألفه الإنسان، ويألف الإنسان ، ويستخدمه ، ويعينه على أداء مهماته ، لولا أن الله ذلله لما أمكنه أن ينتفع منه ، لو أن أخلاق هذه الأنعام التي نأكلها كأخلاق الذئب كيف نتعامل معها ؟

المذيع :

دكتور محمد ، بالنسبة لاسم هذا الحمام ذكرت أنه الحمام الزاجل ، هل هناك فرق بين الحمام العادي والحمام الزاجل ؟

### الفرق بين الحمام العادي والحمام الزاجل :

الدكتور راتب :

طبعاً هذا كان الله خلقه لهذه المهمة ، تعلمون أن هناك كلاباً كثيرة ، لكن الكلاب البوليسية قدرة شمها مليون ضعف عن بقية الأصناف ، معنى ذلك أنها مخلوقة خصيصاً لهذا الهدف ، فيبدو أن الحمام الزاجل في أصل تصميمه ، وفي أصل خلقه قد خلقه الله ليعين الإنسان على نقل المعلومات والأخبار . هناك سؤال : من ذلّل هذا الطير ؟ من جعله حاد الذكاء ؟ من جعله ذا قدرة فائقة على الطيران ؟ من جعله ذا غريزة قوية يهتدي بها إلى هدفه ؟ من جعله مستأنساً يألف الإنسان ويخدمه وهو مسخر له ؟ إن هذا الطير ، الحمام الزاجل أو حمام الرسائل كما يسمى يقطع مسافة ألف كيلو متر دون توقف ، في طيران مستمر ، يقطعها بسرعة كيلو متر واحد في الدقيقة ، أي يقطع في الساعة ستين كيلو متراً ، ويعطي الحمام الزاجل هذا سنوياً تسعة أزواج من الزغاليل كل عام ، ما سمعنا أن طائرة دفعنا ثمنها مئات الملايين من الدولارات أنتجت لنا طائرة صغيرة في آخر العام ، فالحمام الزاجل يعطي سنوياً تسعة أزواج من الزغاليل كل عام ، ويعين على نقل الرسائل عبر الآفاق ، ويهتدي إلى إيصالها بسرعة فائقة بالقياس إلى ذلك الزمن.

المذيع :

فضيلة الدكتور ، من استخدم هذا الحمام ؟

**استخدام السلطان نور الدين الحمام الزاجل لنقل رسائله :**

الدكتور راتب :

يروى التاريخ القريب من الحديث أن السلطان نور الدين استخدم الحمام لنقل رسائله بين دمشق والقاهرة ، حيث كان البريد ينقل عن طريق الحمام ، وكان اسم السلطان ينقش على منقار هذا الحمام ، وكان له ورق خاص يحمله لينقل به الرسائل ذات الوزن الخفيف نسبياً، وكان هذا السلطان يستخدم ألفين من الحمام لنقل الرسائل بينه وبين عماله في الأمصار .

إن ثمة لغزاً كبيراً جداً مازال إلى اليوم يحير الباحثين ، كيف يهتدي هذا الحمام الذي خلقه الله سبحانه وتعالى إلى هدفه ؟ وما الطريقة التي يستخدمها ؟ ويسأل العلماء : كيف يستدل الحمام على طريقه الطويل في السفر ؟

**اهتداء الطير إلى هدفه يتم مباشرة بتوجيه الله عز وجل :**

بالمناسبة ما من نظرية وضعت لتفسير ظاهرة اهتداء الطير إلى هدفه إلا ونقضها العلم ، حتى الآن ليس هناك نظرية تفسر اهتداء هذا الطائر عبر عشرات الآلاف من الكيلو مترات ليلاً أو نهاراً فوق البحر ، أو فوق اليابسة دون أن يضل الطريق إلى هدفه ، والطائر أحياناً ينتقل من شمال الكرة إلى جنوبها ، وقد تكون رحلته تزيد على سبعة عشر ألف كيلو متر ، لو أنه أخطأ في درجة واحدة من زوايا الانطلاق لجاء في مكان آخر ، مثلاً حي من أحياء بيروت فيه بيت فيه عش طائر ، هذا الطائر يهاجر إلى جنوب إفريقيا ، في طريق العودة لو أخطأ في درجة واحدة في زاوية الطيران لجاء في العراق ، ما الذي يجعله يأتي إلى بيروت بالذات ؟ هذا الشيء لا يزال محيراً .

مرة اطلعت على بحث يزيد على ثمانين صفحة في أرقى مجلات الجغرافيا في العالم ، إلى الآن ليس هناك جواب مقنع وشفاف ، ويغطي كل حركات الطيران .

مثلاً : لعلمهم يفهمون أن هذا الطائر مبرمج على أن يسافر من الشمال إلى الجنوب ، ومن الجنوب إلى الشمال ، فجاءوا بمئة طائر ، وعلموهم ، وأخذوهم إلى الهند من بريطانيا ، إذاً هي تطير الآن في اتجاه الغرب ، جاؤوا بعدد من الطيور ، ونقلوها إلى بلاد شرقية كالهند مثلاً ، التي أخذت من بريطانيا عادت إلى بريطانيا ، فسّر ذلك مرة بالشمس ، مرة بالساحة المغناطيسية ، فسّر ذلك بالتضاريس ، ما من تفسير إلا وصار عاجزاً عن تغطية هذه القدرة التي أودعها الله في الطائر ، إلا أن بعض علماء المسلمين قال : حينما قال الله تعالى :

﴿ أَوْلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ فَوْقَهُمْ صَافَاتٍ وَيَقْبِضْنَ مَا يُمَسِّكُهُنَّ إِلَّا الرَّحْمَنُ ﴾

[ سورة الملك : 19 ]

استنبط علماء المسلمين أن اهتداء الطير إلى هدفه يتم مباشرة بتوجيه الله عز وجل ، من قوله تعالى :

﴿ وَيَقْبِضْنَ مَا يُمَسِّكُهُنَّ إِلَّا الرَّحْمَنُ ﴾

[ سورة الملك : 19 ]

على كل الحمام يعد - كما قلنا في مطلع هذا اللقاء الطيب - أول وكالة أنباء في التاريخ .

المنيع :

دكتور ، إن أردنا أن نتجاوز عن تفسير رجوع الطير إلى موطنه الأصلي فمن الممكن أن نتجاوز عنه، ولكن كيف نتجاوز عن تفسير أنه يرسل الطائر إلى مكان آخر غير موطنه ليعتد برسالة فهنا تفسير عجيب ؟

توجيه الله تعالى الطائر توجيهاً مباشراً ليكون آية على عظمته :

الدكتور راتب :

سوف نحاول أن نفسر ذلك ، الحقيقة أن الإغريق واليونان والرومان والعرب، وفي كل العصور كانوا يستخدمون هذا الطائر لنقل الرسائل وإيصال الأنباء ، وقد استخدمته بعض الدول الغربية كهولندا لإبلاغ الأوامر إلى سومطرة ، تصور من هولندا إلى سومطرة ، وجاء إلى جنوب شرق آسيا يقطع مسافات تزيد على سبعة عشر ألف كيلو متر تقريباً ، لكن السؤال الذي يحير العقول كما تفضلت به قبل قليل : كيف يهتدي هذا الطائر عبر هذه المسافات الطويلة التي يعجز عن الاهتداء إليها أذكى طيار على وجه الأرض ؟ الطيار هناك محطات أرضية نظامية كثيرة جداً ترسل له إشارات ، كيف يعرف الطيار أين هو على سطح الأرض ؟ لولا هذه المحطات التي ترشده إلى مكان وجوده لما أمكنه أن يهتدي .

طبعاً هذا واضح جداً في مخلوقات أخرى ، أنا ذكرت مرة أن بعض الأسماك تأتي من ينابيع الأنهار في أمريكا إلى مصباتها إلى الشرق إلى سواحل أوروبا في المحيط الأطلسي ، وتعود إلى رؤوس الأنهار فتتموت هناك ، لو أنها أخطأت في درجة واحدة أيضاً لكانت قد أتت من نهر الأمازون ، فإذا بها في نهر آخر ، شيء عجيب جداً .

على كل الطيار يستخدم إشارات ، وإحداثيات ، وخرائط ، وبث مستمر يحدد له في أي موقع هو على سطح الأرض ، إنها رحلة طويلة من غرب أوروبا إلى جنوب شرق آسيا ، فكيف - كما تساءلتم جزاكم الله خيراً - يوصل طائر صغير رسالة إلى أبعد مكان ؟ وكيف تعمل الحاسة التي توجه الطائر نحو

طريقه ؟ قال العلماء : إن شيئاً ما يوجه هذه الطيور إلى أهدافها لا نعرفه ، وأروع ما في الموضوع كما قال سيدنا الصديق : " العجز عن الإدراك إدراك "

أحياناً الإنسان يرى لغزاً لا حل له ، أقول لك ، وأنا واثق من هذا الكلام : إنه حتى الآن ليس هناك تفسير علمي واضح لحركة الطيور ، ليس هناك جواب ، إلا أنني فهمت من قوله تعالى كما فهم غيري أن الله سبحانه وتعالى يوجه توجيهاً مباشراً هذا الطير ليكون آية على عظمة الله عز وجل . قد توقع بعض علماء الأرض أن معالم الأرض تنطبع في ذاكرة هذا الطير ، فهو يعرفها ، ويهتدي بها ، هذه فرضية ، فجاء عالم آخر ونقض هذه الفرضية بأن جاء بحمام زاجل ، وعصب عينيه ، وأطلقه فانطلق إلى هدفه ، هذه النظرية أصبحت باطلة ، فأين تلك المعالم ؟ وأين الذاكرة على الرغم من أنه قد عصبت عيناه انطلق إلى هدفه ؟

فرضية ثانية : أنه يشكل مع الشمس زاوية يهتدي بها إلى وطنه ، فلما قيل : يطير في الليل فكيف يهتدي إلى هدفه وهو يطير ليلاً ؟ نقضت هذه النظرية .

نظرية ثالثة : إنهم توقعوا وجود جهاز رادار في دماغه يهديه إلى الهدف ، فوضعوا على رأسه جهازاً صغيراً كهربائياً يصدر إشارات كهربائية من أجل أن تشوش عليه ، ومع ذلك وصل إلى هدفه . ثم توقعوا أنه يهتدي إلى أهدافه عن طريق الساحة المغناطيسية في الأرض ، فوضعوا في أرجله حلقات حديدية ممغنطة من أجل تشويش هذه الساحة فاهتدى إلى هدفه .

لم تبق عندهم من نظرية إلا ونقضت ، فكيف يقطع الطائر عشرات الآلاف من الأميال فوق البحر وفوق الجبال وفي الصحراء وفي الوديان ؟ وكيف يأخذ زاوية باتجاه الهدف ؟ هذا سر لا يزال يحير عقول العلماء ، وقد قال أحد العلماء : إن شيئاً ما يوجه الطيور إلى موطنها ، قال تعالى :

﴿ فَمَنْ رَبُّكُمْ يَا مُوسَى \* قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ حَلْفَهُ ثُمَّ هَدَى ﴾

[ سورة طه : 49-50 ]

وأصح تفسير لهذا الموضوع أن الأمر يتعلق بهداية الله سبحانه وتعالى ، قال تعالى :

﴿ سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى \* الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّى \* وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَى ﴾

[ سورة الأعلى : 1-3 ]

**الغريزة عمل ذكي و مبرمج يفعله الحيوان بلا تعلم :**

لذلك يسمي علماء التوحيد هذه الظاهرة التي تحير العقول هداية الله تعالى ، ويسميها علماء الحياة الغريزة آلية معقدة توجد عند المخلوق دون تعلم ، عمل ذكي على مراحل ومبرمج يفعله الحيوان بلا تعلم .

الإنسان حينما يتعلم يتحرك وفق علمه ، لكن الحيوان أحياناً يقوم بأعمال بالغة التعقيد من دون تعلم ، هذه اصطلاح على تسميتها بالغريزة ، والغريزة عمل معقد جداً على مراحل مبرمج ، ولكن بلا تعلم ، مثلاً الإنسان يولد ، ولد لتوه كيف يستطيع الأب أن يعلمه كيف يمص ثدي أمه ليشرّب من حليبها ؟ هل هناك قوة في الأرض تستطيع أن تعلم المولود لتوه ؟ لو أن الأب قال له : يا بني ، لا بد من أن تشرب الحليب من ثدي أمك ، ضع فمك على حلمة ثدي أمك ، وأحكم الإغلاق ، ثم اسحب الهواء ، هل هناك في الأرض قوة تستطيع أن تعلم هذا الوليد؟ أبداً ، قال علماء الطب : إن الطفل الذي يولد لتوه مركز فيه منعكس اسمه منعكس المص ، دون تعلم ، لمجرد أن يضع الوليد فمه على ثدي أمه يحكم الإغلاق ، ويسحب الهواء ، فيأتيه الحليب ، هذا المنعكس الوحيد الذي خلق مع الإنسان ، ولولاه لما كانت هذه الندوة .

## خاتمة وتوديع :

المذيع:

إذاً الهداية من الله سبحانه وتعالى كما ذكرتم .

في نهاية هذه الحلقة كنا قد تحدثنا أيها الأخوة و الأخوات في هذه الحلقة عن الحمام الزاجل ، البريد الجوي ، إنه ليس حديثاً ، بل إنه قديم ، إن هذا الطير ، الحمام الزاجل أو حمام الرسائل كان يسمى يقطع المسافات الكبيرة جداً ، ويهتدي بنور الله سبحانه وتعالى .

أيها الأخوة ؛ مع فضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي ، نتابع هذه السلسلة من الحلقات بإذن الله تعالى من الإعجاز العلمي في القرآن والسنة .